التغزل بالنفس عند الشاعرات الأندلسيات

م.م. عمار موسى حميدي
متوسطة يحيى بن زيد
إلى المديرية العامة للتربية في محافظة كربلاء

Self-flattering Among Andalusian Women Poets

Ammr mousa humaedy
The General Directorate of Education in Karbala Governora

Abstract

Self-flirting is a novel subject of study. Through this article، I would like to explain what the Andalusian woman hides in her feelings of sensations that she was able to reveal to the public، as the Andalusian poet was enjoying a wide area of freedom، unlike the poet from Mashreq.

This article dealt with the phenomenon of self-flirting among some Mashreq poets and how they used to flirt with themselves and the descriptive analytical approach was used in this paper

In the second chapter، I discussed the nature of self-flirting as a new topic and its relationship to narcissism as well as the motivations for self-flirting amongst Mashreq women.

The third and final chapter is an objective study on some models through which I found out the topics that the Andalusian poet addressed when she flirts with herself، with an explanation of some of the ranges that can be thought based on this article.

Key words : spinning- Self-flirting- Andalusian woman- Andalusian poetry- Narcissism in poetry - Self love Feminist poetry

الملخص

يعد موضوع التغزل بالنفس موضوعا دراسة بكر ، وقد وجدت من خلاله بيان ما يكمن في داخل المرأة الأندلسية من مشاعر و أحاسيس ، استطاعت أن تبوح بها للعلن ، وما كانت الشاعرة الأندلسية تتمتع به من مساحة واسعة من الحرية ، على عكس الشاعرة المشرقية في الغالب . وقد بينت من خلال الدراسة مضامين تناولتها من خلال المباحث التي كان تمهيدها حول ظاهرة التغزل بالنفس عند بعض الشاعرات المشرقيات ، وكيف كانت الشاعرة المشرقية تتغزل بنفسها ، أما المبحث الأول فقد تناولت فيه ماهية التغزل بالنفس باعتباره موضوعاً بكراً، ومدى علاقته بالنرجسية . اما المبحث الثاني فقد تناولت بواعث التغزل بالنفس عند الشاعرات الأندلسيات . و المبحث الثالث والأخير فقد كان دراسة موضوعية عن بعض النماذج التي من خلالها توصلت إلى الإلمام بالموضوعات التي تناولتها الشاعرة الأندلسية عندما تتغزل بنفسها مع بيان بعض المَديات التي من الممكن أن تُدرس انطلاقا من هذا البحث ، ومن الله التوفيق والسداد.

الكلمات المفتاحية: الغزل – التغزل بالنفس – المرأة الأندلسية – الشعر الأندلسي – النرجسية في الشعر – حب الذات – الشعر النسوي.

تمهيد

التغزل بالنفس عند الشاعرات العربيات

تعد المرأة ومن دون أي شك كيانا ممتلئً بالمشاعر والأحاسيس بطبيعة تكوينها الوجودي ، مما يجعل لهذه المشاعر وجودا مؤثرا في أشعارها أينما وجدت في التراث الشعري العربي ، وفي تناولي للشاعرات العربيات فإنني لاحظت جليا أن المرأة العربية الشاعرة كاسرة للأمواج ، كونها نشأت في مجتمع ديني قبلي شرقي يحيطها بالكثير من القيود فكيف بها إذا أشعرت غزلا تعبر به عن الحب ، ووصف الحبيب ، وتحمل بين كلماتها مشاعر صادقةً ومعبرة ، وتكتب كلماتها تعبيراً عن خلجاتها وأحاسيسها . وما يهمني في هذا البحث تغزل المرأة بنفسها فهي المصدر الأساس للغزل والنصف الأجمل من الناس، وإذا نظرنا إلى المرأة العربية الشاعرة على مر العصور فنجدها قد جسدت شكلا من الإبداع في تناولها الشعر.

إنّ الأصولَ التي ألفتها المرأة العربية في مجالات الأدب كافة ربما مجهولة نوعا ما ، والسبب قد يعود إلى ندرة هذه الأصول والإهمال الذي تعرض له أدب النساء في حينها ، وكذلك بسبب النظرة الخاطئة لأدب النساء من كونه أدب ضعيف لا يتسامى إلى أدب الرجال وبذلك لا يخرج من كونه يعد تقصيرا للباحثين في ذلك. (١)

كانت الشاعرة العربية لا تكتب شعرا في الغزل إلا نادرا لأسباب مر ذكرها ، وليس كما هي الشاعرة الأندلسية التي كتبت في الغزل وتغزلت بالحبيب وتغزلت بنفسها حبا لذاتها ورغبة في إظهار مفاتنها منطلقة من أجواء التحرر السائدة آنذاك لأسباب معروفة ، ولكن على الرغم من ذلك جاءت بعض الشاعرات العربيات في المشرق بأشعار غزل . وما يهم في مضمون هذا البحث وهو التغزل بالنفس فإننا نجد الشاعرة سلمى البغدادية (٢) تنزلق إلى الخيال فتمرح مرحا عجيبا في وصف مدارك نفسها فتقول:– (٣)

عيونُ مها الصريم فداء عيني وأجياد الظباء فداء جيدي
أزين بالعقود وان نحري لأزين للعقود من العقود
ولو جاورت في بلد ثمودا لما نزل العذاب على ثمود

فهي تجعل من عيون ألمها وهي العيون التي ألهمت الشعراء وأراقت قرائحهم تشبهها بعيون المرأة الجميلة العينيين ، وبالتالي جعلتها تذهب فداء لعينيها ، بل تعدت إلى أوصاف أخرى للظبية تماثل أواصفها كجيدها بل يذهب فداء أيضا لجمال جيدها، فهي لم تجعل هذه الأوصاف قرينة لأوصافها أنما فداء لها ، والتغزل بالنفس عند الشاعرة قد أرادت به أن تتخطى تشبيهات الشعراء للنساء بعيون المها وجيدها ، وتكون هي الأجمل والأسمى حتى مما يقصده الشعراء لتشبيه المرأة به .

وتتخطى الشاعرة صعبة البغدادية في التغزل بنفسها ووصف جمالها إلى ابعد من سابقتها فتقول :– (٤)

أنا فتنة الدنيا فتنت بحجتي كل القلوب فكلها بي مغرم
أترى محياي البديع جماله وتظن يا هاذا بأنك تسلم؟

---

(١)ينظرأشعار النساء ,جلال الدين السيوطي , ت د. صلاح الدين المنجد ,دار المكشوف ,ط ١, بيروت,نيسان ,١٩٥٨,ص٥.
(٢)الشاعرة سلمى بنت القرطيس البغدادية وقد كانت مشهور بجمالها وادبها وعندما سمع الخليفة المقتفي بأشعارها قام بإرسال مالا لها كي تصون به جمالها وأدبها ورونق شعرها.ذكر ذلك صاحب كتاب أشعار النساء, ص٥٨ .
(٣)أشعار النساء ,جلال الدين السيوطي , ت د. صلاح الدين المنجد ,دار المكشوف ,ط ١, بيروت,نيسان ,١٩٥٨,ص٥٨.
(٤)أشعار النساء , ص٦٥.

وهي هنا ترى نفسها قد فتنت الدنيا بجمالها، فكل القلوب مغرمة بها ، وكل من رأى جمالها لا يسلم من فتنتها ، وهي بهذه الأنا المتضخمة النابعة من ثقة مشوبة بالطغيان العاطفي تعلو على كل أشكال مفاتن الجمال أين ما كان وفي كل الأزمان ومن خلال الضمير(ألانا) ، وكل القلوب مغرمة بها، بل الكل لا يسلم من الوقوع بالإعجاب بمفاتنها، وهنا الثقة المطلقة من خلال تسليم الكل لها ، وهي في هذا المقام تشعر بالتيه بنفسها وإحساس عالٍ بأنوثتها وجمالها ، والمرأة تنظم هكذا كلمات عندما ترى جمالها لا يحده حد، وهي هنا ولا توجهه إلى رجل ما ، بل إنها مثار للجميع ، وتظهر في البيتين جزالة السبك التي كانت تتصف بها أشعار العصر العباسي.

المبحث الاول

ماهية التغزل بالنفس وعلاقته بالنرجسية

بطبيعة خلق المرأة وتكوينها وبالفطرة فان الله سبحانه وتعالى قد خلقها ناعمة ضعيفة جميلة كي تكون للرجل هدفا كي يرغب للتقرب منها ، ومساعدتها في تكوين أسرة متكاملة بين نصفين، قوي جريء وأخرى جميلة رقيقة (((والمرأة كالنبتة إن اعتني بها ورعيت رعاية بالغة فان ملامح الجمال تبدو واضحة في محياها وتظهر عليها اثأر النعمة والنعومة والرقة والدلال والمرأة الكريمة توصف بأنها نؤوم الضحى ...لا يشغلها سوى جمالها ودلالها)) [١] وجرأة الرجل الشاعر في الغزل تمتد إلى التغزل بالمرأة بكل تفصيل وإحاطة ، باعثا مشاعره للمحبوبة بصدق وتمعن وعلى مد العصور التاريخية ، أما غزل الشاعرات فقليل جدا إذا ما قورن بغزل الشعراء الرجال لما يقيد المرأة من تكوين فطري يمنعها من إظهار التجرؤ والتغزل بالطرف الآخر.

وبطبيعة الحال فان نظرة المرأة لنفسها تختلف عن نظرة الرجل ، لانها تكرس إمكانياتها كي تظهر بالشكل الأجمل والأكثر نظارة ، و من نتائج ذلك أننا نجد مكملات التجميل في كل مكان واغلبها خاصة بالنساء والمرأة تصرف الكثير من أموالها لأجل ذلك ، وهذا الاهتمام الفطري له الأثر البين في الشعر عند الشاعرات العربيات وبالأخص في الأزمان التي قد أخذت فيها النساء مسحة من الحرية في ظل أجواءها آنذاك للبوح بما تحمله من مشاعر وأحاسيس تجاه من تحب ، ولكننا عند النظر الى غزل بعض الشاعرات نجدها قد تتغزل بنفسها من خلال وصف محاسنها وجمالها ولبواعث كثيرة سوف نطرقها في المبحث الثاني ان شاء الله ، اذ تطرقت بعض الشاعرات اللاتي يمتلكن حيزا من الحرية لبعض المعنى بوصف أنفسهن وذكرا للمحاسن التي تتصف بها المرأة من خلال الشعر و بواسطته وبالخصوص الشاعرات الاندلسيات ففي الاندلس مساحة واسعة من الحرية تنظم بها الشاعرة ومن دون قيود حتى ذهبت بعض الشاعرات الى وصف حسي لأجسادهن وما تتضمن من محاسن وهذا هو التغزل بالنفس فالشاعرة هنا تدرك وتريد ان تصل من خلال هذا التغزل رسالة الى الآخرين إن كانوا رجالا محبين ام نساءا غيورات بأنهن يحملن من الأوصاف ما يغرس في دواخل نفوسهن كمًا كبيرا من الثقة الزائدة في أحيان كثيرة إلى حد أن تقوم إحداهن بكتابة أبيات شعرية على ثيابها تصف جمالها ومشاعرها وتتغزل بنفسها ((فالمرأة الأندلسية كانت اكثر قدرة على التعبير عن ذلك الجمال من غيرها من شاعرات المشرق فلم يعترضها ناقد ولم يقف بوجهها معترض بل انطلقت تجول في وصف أجزاء جسدها وكأنها آلة تصوير تنقل لنا ما في ذلك الجسد من دقائق جمالية كانت خفية عن أعين الناظرين)) [٢].

---

(١)القيم الجمالية في شعر المرآة الأندلسية , أ.د. احمد حاجم الربيعي, دار غيداء , الأردن ,ط١, ٢٠١٦, ص٤٤.

(٢)صورة الرجل في شعر المرآة الأندلسية , أ.د. احمد حاجم الربيعي, دار غيداء , الأردن ,ط١, ٢٠١٤, ص٢٢.

يعدُ الغزلُ إلى جانب شعر الطبيعة والأشعار الحزينة من أهم الألوان التي طرقها الشعراء الأندلسيون [١] ولمعرفة ماهية التغزل بالنفس عند الشاعرات الأندلسيات لابد من أن يكون المنطلق من معرفة ماهية الغزل ولنأخذ تعريفا للغزل من احد المتخصصين في الأدب الأندلسي فيقول الدكتور احمد حاجم الربيعي في تعريف الغزل:- ((هو تعبير عن الجمال الأنثوي في النفس بأسلوب فني بديع يضاف اليه شيء من نسج خيال الشعراء وهذا إما أن يصور المحب مشاعره أو ما يعانيه من مواجد وأشواق تجاه الحبيب وما يلاقيه من الآم جراء البعد والصد وهذا ما يسمى بالغزل العفيف وأما أن يكون وصفا دقيقا لمفاتن أعضاء جسد المرأة وحركتها وحديثها وهذا ما يطلق عليه بالغزل الحسي)) [٢]

ففي العبارة الأولى من تعريف الباحث نجده يقرر بان الغزل ما هو إلا تعبير عن الجمال الأنثوي وبالفعل نلاحظ ذلك في كل الأشعار التي نظمتها شاعرات الأندلس عند التغزل بنفسها منها قول الشاعرة حفصة الاركونية:- [٣]

فثغري مورد عذب زلال وفرع ذؤابتي ظل ظليل

إذ تصف الشاعرة نفسها غزلا حسيا فتكشف عن موارد جمالها الأنثوي وكأنها تطمح إلى ذكر محاسنها التي يرغب الرجال بوصفها وهي بذلك ترنو الى التغزل بالنفس بهدف عرض جمالها على المحبوب بحال ما تمتلك من مفاتن تسر المقابل ، من ذلك ندرك أن التغزل بالنفس من خصوصيات الاعتراف بالجمال أو هو البوح بما تمتلكه من صفات تراها أنجع ما يجب أن تلاقي بها من صفات و وسائم لمن تحب ، فصار التغزل بالنفس من ثمار مفاتن المرأة الجميلة وخصوصا إذا كانت المرأة تخفي جمالها بالحجاب عن المحبوب.

أما ما وسمه الباحث في تعريفه عن الغزل بان يضاف له شي من الخيال ، فالشعر خيال تنسجه مخيلة الشعراء وإذا كان الشاعر يضفي خيالا عن التغزل بالمرأة كي يوصل لنا قدر حبه ودرجة إحساسه التي لا يحتملها الواقع ، فالتغزل بالنفس عند الشاعرات لا يخلو بكل تأكيد من الخيال لهذا الغرض .

والسؤال الذي يشغل أذهاننا هو هل التغزل بالنفس عند الشاعرة هو مورد من موارد النرجسية أم غير ذلك ، وللإجابة عن ذلك لابد أن نأخذ شيئا عن ماهية النرجسية وإمكانية أن تكون الشاعرات اللاتي يتغزلن بأنفسهن قلن شعرا نابعا من كونهن يعانين عقدا نرجسية وبالأخص إذا علمنا أن الكثير من الأشعار التي وردت في المعنى(التغزل بالنفس) نابعة عن حب الشاعرة لنفسها ، والتفاخر بجمالها ، ورغبتها لإظهار مفاتن جمالها أمام المعجبين والسامعين، من ذلك سنتطرق إلى مفهوم النرجسية .

النرجسية نظرية نفسية نابعة من قصة من الأساطير اليونانية القديمة عن شاب اسمه ترسيس وهو الشاب اليوناني الذي عشق نفسه الى حد كبير من خلال النظر لصورته في الماء ما يوصلنا الى ان النرجسية وحب الذات يفرض على الإنسان ان يكون أسيرا لحب الذات بالمطلق وهذا ما يجعله في مواجهة كل المجتمع الذي يحمل مفاهيم مغايرة لما يدين به من مشاعر ذاتية . كما والنرجسية قد تأخذ بعدا آخر متمثلة بحب المرأة لطفلها بشكل مفرط مما يجعل الطفل من فرط حب أمه له يبدأ شيئا فشيء بحب نفسه بشكل كبير بل ومن حب الناس له ورغبتهم في

---

(١) ينظر قضايا أندلسية , الدكتور بدير متولي حميد, دار المعرفة,القاهرة, ص٤١.

(٢)القصص القرآني في الشعر العربي أ.د. احمد حاجم الربيعي,دار الشؤون الثقافية , بغداد,,ص١٦٤,٢٠٠١.

(٣)معجم الأدباء , شهاب الدين ياقوت الحموي ,ت إحسان عباس , دار الغرب الإسلامي بيروت الأول ,ص١١٨٤ .

محادثته وملاطفته تنشأ لديه الرغبة الكبيرة أيضا بحب ذاته وبالتالي كل من يعيش حالة النرجسية قد يحصل عنده نكوص، فعندما يكبر الطفل مثلا ويبدأ بالصدام مع المجتمع الذي بدأت تقل فاعليه الاهتمام تجاهه . وكذلك المرأة عندما تتزوج او يختفي جمالها او تختفي كذلك شرود النظرات تجاهها كل ذلك قد يخلق شيء من العدوانية والنفور مما يخلق عقداً نرجسية [١] ومن خلال مفهوم النرجسية استطيع فهم حقيقة تخص التغزل بالنفس عند الشاعرات الأندلسيات مفادها أن الأجواء التي ولدت الشاعرات وترعرعت فيها من انفتاح وظهور للعيان من مجالس شعرية او غنائية جعلت من الشاعرات في مرمى الأنظار والإعجاب وهذا خلق نظرة الإعجاب بالنفس وحب الذات فهذه الشاعرة ولادة بنت المستكفي الشاعرة لأندلسية المعروفة تقول :- [٢]

أنا والله أصلح للمعالي وأمشي مشيتي واتيه تيها
وأمكن عاشقي من صحن خدي وأعطي قبلتي من يشتهيها

وعلى هذا المنوال فالشاعرات المتغزلات بالنفس وصلن لمرحلة يشعرن بمطاردتهن بالأنظار والقلوب ما جعل مفهوم النرجسية يظهر لديهن ويتمثل ويبدو جليا من أشعارهن التي فيها تكريس لمضمون النرجسية في الواقع ومن خلال حب الشاعرة لنفسها وقناعتها الفعلية بأنها امرأة تلفها الأنظار من كل جانب ويتبعا الرجال لجمالها ولطافتها ، وهذا المعنى يتحقق من قول ولادة في البيتين السابقين ، بقولها إنها تصلح للمعالي فهي المتفردة بجمالها وفرادتها حتى في مشيتها هي مميزة ومملوءة خيلاء فهي تترفع عن أن تكون امرأة عادية فمكانها أعلى من باقي النساء وتصلح للاماكن العليا وكل هذا جاء بالطبع مما تمتلك من جمال ولطافه جعل الرجال يتنافسون في حبها ، ومن اجل لقيآها، أو حتى النظر إليها ، والتكلم معها فهي ضمن اطر الشخصية النرجسية من دون ريب .

والمرأة التي يقل جمالها بنسبة معينة تحاول أن تقنعَ الجميع أنها جميلة ومتميزة ، وهذه من خصال النساء فكيف اذا كانت المرأة شاعرة وتشعر بحب الذات ، والنساء أميل إلى النرجسية بطبيعتها، فهي الجميلة والتي ينظر إليها الرجل ويعجب بها.

وخلاصة الأمر فأنّ التغزل بالنفس هو أسلوب من أساليب الغزل يلجا له الشاعر أو تلجا إليه الشاعرة لنظم أشعار الغزل بالنفس لا للتغزل بالطرف الآخر ، فيأتي الغزل من منطلق نفسي قد يكون باعثه عقدة نرجسية يعانون منها أو من اجل إعلام الآخرين بمدى الجمال والجاذبية الذي يمتلكونه ويكون نابعا من الثقة العالية بالنفس التي يتمتع بها نوعا معين من الشعراء.

المبحث الثاني

بواعث التغزل بالنفس

عند الكتابة عن الشعر في عصر كالعصر الأندلسي ، وللكتابة عن بواعث الشعر بالذات يذهب ذهن الكاتب والمتلقي إلى أهم البواعث التي صارت وسما يراود الشعر الأندلسي إلا وهي الطبيعة ، والتي شكلت مرتكزا للغة الشاعر وباعثا لسليقته الشعرية اذ لا تجعله يعرج عنها بعيدا في كل وصف وغزل ، فكانت الشاعرة الأندلسية تطرقهاعند تغزلها بنفسها ومن أهم منطلقاتها في ميلها لان تتغزل بنفسها من تأثرها بجمال ورونق الطبيعة الأندلسية الملهمة للشعراء .

---

(١) ينظرالنرجسية في شعر نزار قباني , سعد بو فلاقة ,ص١٠.

(٢)نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب , ت إحسان عباس , دار صادر بيروت ,١٣٨٨- ١٩٦٨,ص٢٠٥.

والطبيعة على لسان الشاعرات حاضرة لأنها تعبر عن جمال المراة الأخاذ ، تقول الشاعرة نزهون بنت القليعي الغرناطية:- [١]

البدر يطلع من أزرته والغصن يمرح في غلائلة

كان هذا رد ارتجالي للشاعرة على قول ابي بكر الكنتدي حين دخل عليها ووجدها تقرا للمخزومي الأعمى حيث قال:- [٢]

لو كنت تبصر من تجالسه لغدوت اخرس من خلاخله

فالشاعرة قد جاء تغزلها بنفسها من منطلق الثقة بجمالها ، وقدرتها على وصف نفسها لمن لا يرى ، وهو الباعث الأساس في هذا التغزل بل كانت فرصة ثمينة لبيان جمالها مستعملة الطبيعة باعث ثانوي ولغة إفهام وتبيان للأعمى والحضور، فوصفت نفسها بالبدر بكماله والغصن بعذوبة حركته وهي مختفية عن من لم يرها وهي تمرح ، ويمكننا أن نقول هناك بواعث مشتركة تجعل من الشاعرة تقدم للتغزل بنفسها ، فمثلا الاختلاط بين الرجال والنساء كان سببا وباعثا ودافعا للتغزل بنفسها وإظهار مفاتنها .

ومن بواعث التغزل بالنفس اللقاء بالحبيب فهي اللحظة التي ينتظرها الجميع .والشاعرة الأندلسية لما أتيح لها من الحرية ، لها الجرأة لان تصف لقاءها بحبيبها ، والتغزل بنفسها غزلا حسيا جريئا ملائما لأجواء اللقاء فتقول الشاعرة نزهون في هذا المجال :- [٣]

لله در ليال ما أحيسنها وما أحسن منها ليلة الأحد
لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت عين الرقيب فلم تنظر الى احد
أبصرت شمس الضحى في عاتقي قمر ورئم مجهلة في ساعد أسد

ففي هذه المقطوعة الشعرية وصفت لنا الشاعرة حالها عند لقاءها بحبيبها وفي البيت الأخير شبهت نفسها بالظبية الصغيرة الجميلة الضعيفة بين يدي الأسد وبذلك دلالة على نعومتها وضعفها أمام إرادة الحبيب فيكاد يلتهمها لطيب جسدها وجمالها، وفي هذا الميدان من التغزل تضعف حالة الأنا أو تتحول إلى غريزة الأنا الضعيفة واللهو [٤] أي تتحقق الانا عند الشاعرة من خلال الضعف والهوان الذي يسيل عليه لعاب الأسد وهي في قمة اللهو والمرح. وما يمكننا أيضا أن نعرفه من بواعث الشاعرة هو القدرة على التصريح وهذا الباعث نجده عند الكثير من الشاعرات الأندلسيات فتقول الشاعرة المعروفة ولادة بنت المستكفي :- [٥]

أنا والله أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وأتيه تيها
وأمكن عاشقي من صحن خدي وأعطي قبلتي من يشتهيها

---

(١) مجلة المورد, المجلد ١٩, ع١, ص١٢١ .

(٢)مجلة المورد, المجلد ١٩, ع١, ص١٢١ .

(٣)المقتضب من كتاب تحفة القادم, لابن الآبار,ت إبراهيم الابياري,دار الكتاب المصري , ١٩٨٢,ص٢١٧.

(٤)النرجسية دراسة نفسية, د. بيلا غرانبرغر , ترجمة وجيه اسعد,منشورات وزارة الثقافة,سوريا,٢٠٠٠,ص١٠.

(٥) نفح الطيب,ج٤,ص٢٠٥.

فالقدرة على التصريح والتمكن والتعبير عن المشاعر من الخصال التي كادت كل الشاعرات الأندلسيات أن تنظم الشعر بها ، والشاعرة ولادة المعروفة بالجمال هي مثل غيرها قد وقعت تحت عقد نرجسية من خلال حبها المفرط لنفسها وربما هي نفسها العقد قد عانى منها ابن زيدون (١)

ومن البواعث التي أنطقت ودفعت الشاعرة الأندلسية للتغزل بنفسها هي الغيرة من غيرها من النساء ، وهي من الصفات الفطرية المعروفة لدى النساء خصوصا إذا رأت أنَ حبيبها قد مال تجاه امرأة أخرى إذ تقول ولادة:– (٢)

لو كنت تنصف في الهوى مابيننا لم تهو جاريتي ولم تتخير
وتركت غصنا مثمرا بجماله وجنحت للغصن الذي لم يثمر
ولقد علمت بأنني بدر السما لكن دهيت لشقوتي بالمشتري

فالشاعرة اعتمدت في تغزلها بنفسها من خلال مقارنه بينها وبين غريمتها التي جعلتها الأدنى بالمقارنة كيف وهي الغصن المثمر وتلك التي لم يثمر ، وهي البدر وتلك المشتري ، وقد استعملت لغة فيها من ألفاظ الطبيعة ما يمكنها أن تتسلق بها للمعالي وترجع إلى مكانتها المفقودة وهي الأجمل عند من تحب.

ومن البواعث للتغزل بالنفس التفاخر بالعفة فعلى الرغم من تجرؤها بخلع الحجاب أمام العامة ، لكنها تعطي لنفسها الحق بإظهار عفتها بالرغم من تزلفها بالظهور والتجمل أمام الرجال ، وتفرح بتتبعهم لها وهي من الصفات النرجسية التي كانت جزءا مهما من حياة الشاعرة والمقصودة في هذا المقام ولادة اذ تقول:– (٣)

إني وإن نظر الأنامُ لبهجتي كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام فواحشا ويصدهن عن الخنا الإسلام

إن ما تريده الشاعرة رسالة واضحة وهي بيان ليس معنى الاختلاط بالرجال وكتابة شعر الغزل هو فساد لأخلاق المرأة فجعلت الإسلام هنا رادعا لها من الانزلاق للمفاسد ، ثم تشبه نفسها بظباء مكة التي يحرم صيدها بالرغم من أنها في متناول يد الصيادين ، ومكامن التغزل بالنفس تشبهها بالظبية وهي التي طالما تغزل بها الشعراء والفارق كان الذكر في هنا بلسان الجماعة ولكن بصدد الدفاع عن نفسها ووصف لجمالها هي.

ومن دوافع التغزل بالنفس عند شاعرات العصر الأندلسي هو التقرب والتودد والاعتذار ، إذ تلجا الشاعرة لوصف نفسها والتغزل بجمالها ومفاتنها بهدف التحبب والتقرب لمن تحب أو لمن تريد التقرب منه لأسباب معينة فنجد الشاعرة الأندلسية حفصة الاركونية الغرناطية تقول:– (٤)

زائر قد أتى بجيد غزال طامع من محبه بالوصال
بلحاظ من سحر بابل صيغت ورضاب يفوق بنت الدوالي
يفضح الورد ما حوى منه خد وكذا الثغر فاضح للآلي
أتراكم بإذنكم مسعفيه أم لكم شاغل من الأشغال

هذه الأبيات كتبتها الشاعرة في ورق ودفعتها بيد جارية جعفر بن سعيد عندما طرقت الشاعرة باب داره خلسة ، والشاعرة وصفت نفسها وصفا جميلا من الصورة الحسية التي ركّبتها ورسمتها بإحساس مرهف واصفة جيدها

(١) ينظر النرجسية في شعر ابن زيدون,المبحث الاول.
(٢)الذخيرة , بن بسام الشنتريني,ت إحسان عباس , الدار العربية للكتاب ,تونس ,١٩٧٩, ج١, ص٤٣١.
(٣)ديوان ابن زيدون ورسائله ,ت علي عبد العظيم,مكتبة نهضة مصر,القاهرة ,١٩٥٧,ص٣٠.
(٤) معجم الادباء,ج٣,ص١١٨٥.

ومشبهته بجيد الغزال، وذاكرة أجزاء من جسدها هي بالاساس مطمع المحب وملاذ العاشق ، وتصف عطر خدها بعطر الورد القوي الفاضح ، وكذلك ثغرها يكشف جمال أسنانها وابتسامتها الجميلة فهي صورة ممشوقة بحركية قمة باللطافة والإثارة ، وهذا تغزل جريء بالنفس.

ومن البواعث أيضا تعبيرها عن الرفض والرضوخ فتلجأ لوصف جمالها وتتغزل بنفسها لتعبر أنها ليست بمستوى الطالب إذ تقول الشاعرة عائشة بنت قادم القرطبية:- (١)

أنا لبوة لكنني لا ارتضي برقي مناخا طول دهري من احد
ولو أنني اختار ذلك لم اجب كلبا وكم غلقت سمعي عن أسد

فالشاعرة هنا في مقام رد خاطباً لها ، فجاءت بمنطق القوة بوصف انها لبوة وهي أنثى الأسد، فلا يمكنها القبول بكلب وقد دنا الأسود على عتبتها ورفضتهم فكيف تقبل بأسد. فالمنظور القاسي الذي جاءت به الشاعرة يكرس شدة رفضها ، اذ لجأت لوصف نفسها والتغزل بنفسها من منطلق قوة وشراسة من خلال تشبيهها نفسها باللبوة وهي تلك التي يخشاها الجميع لشراستها وعنفوانها.

لقد كانت الشاعرة الأندلسية تتغزل بنفسها من مجالات شتى ولبواعث مختلفة وقد تتداخل بواعث كثيرة في أبيات قليلة تنشدها بكل رقة او بكل غلظة وهي مهتمة بكرامتها وعزتها وعنفوانها ليس إلا لكونها امرأة صاحبة رسالة وموقف، وتتداخل لديها بواعث التغزل بنفسها ، كالاعتزاز بجمالها أو وصف رقتها وكينونتها ، ولتلبي غاياتها وتكسر حواجز الإذلال ألذكوري أحيانا ، وتقاوم حين تتعرض هيبتها للوكس والإذلال . ومن أهم بواعثها التي مر ذكرها في البحث هي النرجسية التي كانت موجودة في شخصية الشاعرة الأندلسية وبالخصوص المتحررات منهن، واغلب من تغزلن بأنفسهن هن من الشاعرات المتحررات بالطبع اذ تحمل الشاعرة الأندلسية كتلة من مشاعر الغيرة والحب والكرة في آن واحد مثلما وجدناه في بعض الأبيات الشعرية لهن، ويبقى الحبيب هو المراد والهدف الذي يكون في أحيان كثيرة تكمَل من خلاله شخصيتها القوية ، فلا تقترب من البذيء الواطئ ولا ترضخ للمعاند الحقود ، فهي بكل بساطة المرأة الأندلسية قبل أن تكون شاعرة.

المبحث الثالث

موضوعات التغزل بالنفس عند الشاعرات الأندلسيات

بلا أدنى شك يعد الغزل ومنذ بواكير الشعر العربي غرضاً مهماً وأساسياً في الشعر العربي بل وهو الغرض الأقدم ، و المرأة كانت ولا تزال تشكل هاجساً براقاً بضمير الشعراء ومحور الغزل وعماده وهي التي تحرك مشاعرهم وتلهمهم . أما في العصر الأندلسي فقد كان شعر الغزل((ينساب على شفاه الشعراء الأندلسيين انسيابا لأسباب كثيرة منها اختلاط الرجال بالنساء وإطلاق الحرية الفردية مضاف إلى ذلك جمال الطبيعة الأندلسية)) (٢)ولنفس هذه الأسباب وغيرها فقد كانت الشاعرات الأندلسيات يتغزلن بأنفسهن ولبواعث كثيرة قد مر ذكرها ولكن الشاعرة الأندلسية قد طرقت موضوعات شتى عند التغزل بالنفس ووصف جمالها نحاول أن نبين أمثلة معينة منها .

(١)الصلة ,خلف بن عبد الملك ,ت إبراهيم الابياري , دار الكتاب المصري , القاهرة,ج٣, ص٩٩٣.
(٢)التجديد في الأدب الأندلسي ,الدكتور باقر سماكة , ط١,مطبعة الايمان ,بغداد,١٩٧١, ص٤١.

فالشاعرة الأندلسية حفصة بنت حمدون الحجازية تقول:- (١)

لي حبيب لا ينثني بعتاب وإذا ما تركته زاد تيها
قال لي هل رايتي لي من شبيه قلت أيضا وهل لي من شبيها

وقد وجدت السرد القصصي بمحدداته بَيّن من خلال هذين البيتيين ، والسرد القصصي الجميل الممشوق بمعاني الغزل بالنفس يرسم صورة حيوية بالعاطفة ، فترى الشاعرة من خلال مساجلة حوارية تبث علامات تأثر الحبيب بجمالها المفتون ، وبمجرد أنها تتركه فانه يزداد تيها ، والشاعرة على ما يبدو لا تعاني عقدا نرجسية فهي تقارن وترد وتزاوج بعواطفها.

ومن الشواعر الأندلسيات الشاعرة قسمونة بنت اسماعيل اليهودي إذ تطرق باب التحسر والرغبة في أشعارها فتقول:- (٢)

أرى روضة قد حان منها قطافها ولست أرى جان يمد لها يدا
فوى أسفى يمضي الشباب مضيعا ويبقى الذي ما إن اسميه مفردا

الشاعرة تعبر في هذين البيتين عن أزمة نفسية ، فهي ترى أنها قد كبرت وحان زواجها ولكنها لم تتزوج ، فنرى الإحساس بالتحسر واضحا وهي تشبه نفسها بالروض المثمر حين يحين قطافه ، ووجه التشبيه يأخذ بعدا غزليا بجلب الإحساس بيفاعة الطبيعة ونضوجها كما وان ديدن الأندلسيين يتشدقون في أشعارهم بالطبيعة الوارفة الظلال في بيئتهم الخلابة ، والشاعرة لا تكتفي بالطبيعة الصامتة لوصف حال التحسر فتنطلق إلى الطبيعة الصائتة لتعبر عن مكنوناتها وتحسرها إذ تقول:- (٣)

يا ظبية ترعى بروض دائما إني حكيتك في التوحش والحور
أمسى كلانا مفردا عن صاحب فلنصطبر أبدا على حكم القدر

قد تلتمس الشاعرة لها عذرا عندما ترى ظبية تشبهها في الوحدة والتفرد لكنها لا تعذر حالها من خلال إحساسها بالوحدة وتقرر الصبر على التفرد والرضوخ للقدر وقد تلتمس لنفسها عذرا كونها كالظبية التي كانت على مر العصور يتغزل بها الشعراء وهي هنا بالرغم من جمالها وحور عينيها التي تشبه عين الظبية في الحسن فهي متفردة بالجمال ، والوحدة وتستأنس ، و تتأسى بنفسها من إيحاءات كلماتها.

إن من أهم الموضوعات التي طرقتها الشاعرة الأندلسية عندما تتغزل بنفسها هي مظاهر الحب والهوى والتفاعل الايجابي مع من يتغزل بها فالشاعرة الأندلسية غاية المنى قال لها ابن الفراء الخطيب:- (٤)

سل هوى غاية المنى من كسا جسمي الضنا

فقالت :-

وأرني متيما سيقول الهوى أنا

فالشاعرة ترتجل حين يكون التحدي وصفا لحالها وكينونتها ، وهي التي تعبر عن الحب والهوى دون أي اهتزاز أمام الآخرين لان نفسها أروع ما تكون لديها.

---

(١) نفح الطيب,ج٤ , ص٢٨٥.
(٢) نفح الطيب , ج٣ , ص٥٣٠.
(٣) نفح الطيب ,ج٣, ص ٥٣٠.
(٤) مجلة المورد , م ١٩ , ع ١ , ص ١١٨.

وفي هذا المضمون أيضا فقد قال المعتضد في العبادية شعرا عندما كانت نائمة:- [١]

تنام ومدنفها يسهر وتصبر عنه ولا يصبر

فردت عليه الشاعرة مرتجلة:-

لئن دام هذا وهذا به سيهلك وجدا ولا يشعر

وهنا التغزل بنفسها موضوعه الثقة العالية بالنفس فالحبيب يرضخ بمشاعره لها وهي بعيدة عنه لان الوجد سيهلكه.

والجرأة لا تتحدد عند الشاعرة الأندلسية حين يكون الكلام عن وصف نفسها والتفاخر بجمالها ومشيتها فهي تصبو لوصف أكثر التفاصيل دقة ومنها قول ولادة بنت المستكفي:- [٢]

أنا والله أصلح للمعالي وامشي مشيتي واتيه تيها
وأمكن عاشقي من صحن خدي وأعطي قبلتي من يشتهيها

فالشاعرة موضوعها الأساس نفسها وجمالها وكيف تصف وتتغزل بنفسها ، من مشيتها وجمال وجهها والاهم من كل ذلك تبين مدى توفر حريتها وتتباهى بذلك أمام النساء، بالأخص فهي العالية في المقام الدانية لمن يعشقها ويرغب بها وهذا التيه والتباهي لا يعدو كونه شعرا ولا يتخطى كونه كلمات ففي الواقع الشاعرة لا تعده غير ذلك فهي القائلة: - [٣]

إني وان نظر الأنام لبهجتي كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام فواحشا ويصدهن عن الخنا الإسلام

فتبقى موضوعات الشاعرة هي التباهي بالنفس وفرض الإرادة على الكل، ومواقفها مع الشاعر ابن زيدون تشهد بذلك من خلال المساجلات بينهما .

والشاعرة الأندلسية تعبر عن ضمير المرأة بكل خصالها ، حيث ينقلب مزاج المرأة بمجرد أن تنازعها أخرى مع من تحب ، فتظهر لونا مغايرا من الشعر فيتبدل الغزل هجاء وتتبدل الألفاظ الأنيقة التي كانت تتغزل بها بنفسها إلى ألفاظ جارحة ، اذ تقول الشاعرة الاندلسية حفصة الاركونية حين بلغت أن أبا جعفر تعلق بجارية سوداء وأقام معها :- [٤]

يا أظرف الناس قبل حال أوقعه وسطه القدر
عشقت سوداء مثل ليل بدائع الحسن قد ستر
لا يظهر البشر في دجاها كلا ولا يبصر الخفر
بالله قل لي وأنت أدرى بكل من هام في الصور
من الذي حب قبل روضا لا نور فيه ولا زهر

اذ هو قبل أن يقع مع تلك السوداء كان في أحسن حال ، هكذا تصفه وتبدأ بعد ذلك بوصفها بأوصاف تنكل بها، فكيف لا وهي لا تجد فيها نظيرا لجمالها.

---

(١)مجلة المورد , م ١٩ , ع ١ , ص ١١٨.
(٢) نفح الطيب,ج ٤ , ص٢٠٥ .
(٣) ديوان ابن زيدون ورسائلة ص٣٠.
(٤) معجم الادباء ,ج٣,ص ١١٨٤.

لذلك فالاعتزاز بالنفس يجعل الشاعرة تصف نفسها بأوصاف تحمل معاني القوة والتباهي والتبجح وهو نوع من الغزل العنيف والذي يراد به استعمال ألفاظ قوية تحاول من خلالها الشاعرة إذلال المقابل عن طريق إعطاءها لشخصيتها السيطرة بالجمال والقدرة والامتلاك .

لم تقتصر الشاعرة الأندلسية أن تتغزل بنفسها في الشعر فمالت إلى أن تتغزل بالموشحات أيضا وما رسمته الشاعرة نزهون بنت القليعي من صور مغناة خير شاهد اذ تقول:- (١)

امن الأنس الذي بشرني أم من الجان
غير اني سمت برقا أو مضا حين حيَاني
لم تزل تظهر فيه الكلفا عندما غنَت
غادة لو رام منها النصفا غيره ضنَت
فهو يهواها ويبدي الصَلفا فلذا غنَت
يتمناني هو إذا لم يرني يتمناني
فاذا راني تولى معرضا كن ماراني

ففي هذا الموشح غنت الشاعرة مشاعرها على شكل ومضات وإشارات وتراكم مشاعر ، فأظهرت توهجا حسيا برغبات منفلتة فترغب ويذهب ، ويرغب وتذهب ، وما هي إلا مطاردات تحمل بين طياتها المشاعر والاشتياق ، إذ جسدت موضوعا مثل الرغبات المتبادلة ، فالشاعرات الأندلسيات قد حملن في إشعارهن الغزلية بالنفس هموم كل امرأة ، واستطاعت الشاعرة الأندلسية أن تبوح بمشاعرها التي من خلالها أوضحت للجميع ما تحمله المرأة من مشاعر تجاه نفسها وقد أظهرت لنا من تغزلها بنفسها كل تقلباتها ورغباتها وهمومها ومرادها ، وكيف تنظر لنفسها ومدى شعورها الحقيقي بذاتها ، فكشفت للعيان إحساسها الداخلي الذي ماخلا يوما عصيا على الكثير من الرجال من أن يبد لهم معرفته ، وكيف تنظر الى الرجل. فإذا درس الموضوع بشكل موسع دراسة نفسية من الممكن أن يكتشف لنا نظرة المرأة للرجل من خلال وصفها لنفسها وكيف تصف نفسها اذا كانت المقصود رجل بذاته حبيب ام غريب ، أو كان الرجال بصورة عامة أو كانت النساء هن المقصود لهن بالشعر أو كلا الجنسين ، وقد طرقت الشاعرة الأندلسية موضوعات مختلفة من خلال التغزل بنفسها كالشكوى والحنين والتعالي والتباهي والتصنع واللامبالة والغيرة والتجاهل والتوسل والتلمع والتفاني بالخضوع للحبيب والغربة والعزلة والمجاهرة والارتجال وسرعة الرد والبديهة والتشكك والوصال إذ لا يتسع بحث صغير لدراستها ومعرفة تفصيلاتها.

المصادر:

١- ابن بسام الشنتريني ،الذخيرة ، ،ت إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب ،تونس ،١٩٧٩.
٢- ابن الآبار ،المقتضب من كتاب تحفة القادم، ،ت إبراهيم الابياري،دار الكتاب المصري ، ١٩٨٢.
٣-احمد بن محمد المقري التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ت إحسان عباس ، دار صادر بيروت ،١٣٨٨- ١٩٦٨.
٤- احمد حاجم الربيعي ،القصص القرآني في الشعر العربي،دار الشؤون الثقافية،بغداد،٢٠٠١.
٥- احمد حاجم الربيعي القيم الجمالية في شعر المرآة الأندلسية، دار غيداء ، الأردن ،ط١، ٢٠١٦.
٦- احمد حاجم الربيعي صورة الرجل في شعر المرآة الأندلسية ، ، دار غيداء ، الأردن ،ط١، ٢٠١٤.

(١)ديوان الموشحات الأندلسية , سيد غازي , منشاة المعارف الاسكندرية,١٩٧٩,ج١ ,ص٥٥١ .

٧- باقر سماكة ، التجديد في الأدب الأندلسي ، ، ط١،مطبعة الايمان ،بغداد،١٩٧١.
٨- بدير متولي حميد، قضايا أندلسية ، دار المعرفة،القاهرة.
٩- بيلا غرانبرغر ،النرجسية دراسة نفسية، ، ترجمة وجيه اسعد،منشورات وزارة الثقافة،سوريا،٢٠٠٠.
١٠- جلال الدين السيوطي ، أشعار النساء ، ت د. صلاح الدين المنجد ،دار المكشوف ،ط ١، بيروت،نيسان ،١٩٥٨..
١١- خلف بن عبد الملك ، الصلة ،ت إبراهيم الابياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة.
١٢- سيد غازي ، ديوان الموشحات الأندلسية ، ، منشاة المعارف الاسكندرية،١٩٧٩.
١٣- شهاب الدين ياقوت الحموي ،معجم الأدباء ، ،ت إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي بيروت الأولى.
١٤- علي عبد العظيم ، ديوان ابن زيدون ورسائله ،ت،مكتبة نهضة مصر،القاهرة ،١٩٥٧.

References:

1- Ibn Bassam Al-Shantarini، Al-Thakhira، T. Ihsan Abbas، Arab Book House، Tunis، 1979.
2- Ibn Al-Abar، the summary from the book Tuhfat Al-Muqbil، T. Ibrahim Al-Abyari، Dar Al-Kitab Al-Masry، 1982.
3- Ahmad bin Muhammad Al-Maqri Al-Tilmisani، "The goodness of the goodness of the good branch of Andalusia"، T. Ihsan Abbas، Dar Sader Beirut، 1388-1968.
4- Ahmad Hajim Al-Rubaie، Quranic Stories in Arabic Poetry، House of Cultural Affairs، Baghdad، 2001.
5- Ahmad Hajim Al-Rubaie، the aesthetic values in the poetry of the Andalusian woman، Dar Ghaidaa، Jordan، 1، 2016.
6- Ahmad Hajim Al-Rubaie، The Man's Image in the Andalusian Woman's Poetry، Dar Ghaidaa، Jordan، 1، 2014.
7- BaqirSammakah، Renewal in Andalusian Literature، ed 1، Al-Iman Press، Baghdad، 1971.
8- BadirMetwally Hamid، Andalusian Cases، House of Knowledge، Cairo.
9- Bella Granberger، Narcissism، a Psychological Study، translated by WajihAsaad، Ministry of Culture Publications، Syria، 2000.
10- Jalal Al-Din Al-Suyuti، Poetry of Women، d. Salah al-Din al-Munajjid، Dar al-Makshof، 1st floor، Beirut، April 1958.
11- Khalaf bin Abdul Malik، Al-Silah، T. Ibrahim Al-Abyari، Egyptian Book House، Cairo.
12- Sayed Ghazi، Diwan Al-Muwashahat Andalusia، ، Manshaat Al-Maarif، Alexandria، 1979.
13- Shihab al-Din Yaqout al-Hamawi، Dictionary of Writers، T. Ihsan Abbas، Dar al-Gharb al-Islami، Beirut I.
14- Ali Abdel Azim، Ibn Zaydoun'sDiwan and His Letters، T.، NahdetMisr Library، Cairo، 1957.